الفصل الثاني

مراكز الدعوة وجهازها السري

أ - استشراف العباسيين للخلافة.

ب - مراكز الدعوة.

جـ - الجهاز السري.

أ - استشراف العباسيين للخلافة :

فقد عقد العباسيون الخناصر على إقصاء بني أمية عن الخلافة، واستوائهم هم على أريكتها، وحشدوا من أجل ذلك الجهود وجمعوا الأشياع والأتباع، ورسموا خطة هي غاية في الدقة والإحكام، وقبل أن أسلط الأضواء على الوسائل التي توصل بها العباسيون إلى إسقاط دولة بني أمية، واستيلائهم هم على مقاليد الحكم والسياسة، أرى لزاماً عليَّ أن أتساءل أولاً: متى استشرف العباسيون للخلافة؟ وقبل الجواب عن هذا التساؤل، فلابد من الجواب عن تساؤل آخر وهو: ما هو الشرط الأساسي الذي لا سبيل إلى طلب الخلافة بدون تحقيقه؟

والذي يدرس في عمق الظروف التي واكبت وفاة النبي - عليه الصلاة والسلام -، لا يسعه إلا أن يؤمن بأن شرط الخلافة الأساسي قد كان هو: السبق إلى الإسلام، والجهاد تحت لواء النبي - عليه الصلاة والسلام -، والدليل على هذا أمران:

أحدهما :

قوله تعالى: ﴿ **لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا** ﴾ (١).

فقد فاضل الله في هذه الآية بين المسلمين وفضل من قاتل وأنفق قبل الفتح، على من قاتل وأنفق بعده.

---

(١) سورة الحديد: الآية ١٠.

ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، جـ ٤، ص ٣٠٥ - ٣٠٦.

الأمر الثاني :

هو : أن أبا بكر - رضي الله عنه - قد فاضل في السقيفة[1] بين المسلمين كذلك، وذكر أن المهاجرين هم الأحق بالفضل، لأنهم قد أسلموا قبل الأنصار من جهة، ولأنهم قد قُدموا عليهم في القرآن من جهة ثانية.

وإذا ثبت أن السبق إلى الإسلام هو الشرط الذي لابد منه للاستشراف للخلافة، كان في مقدورنا أن نقرر أن العباسين لم يستشرفوا لهذا المنصب الكبير فور وفاة النبي - عليه الصلاة والسلام -، مع أن العباس بن عبد المطلب قد كان هو العم الحي[2] بعد موته - عليه السلام -، وبالتالي فهو أقرب المسلمين قرابة منه، والذي أُثبته الآن منطقياً هو الذي ثبت تاريخياً، فإن العباس[3] بن عبد المطلب قد قدم عليًا على نفسه في طلب الخلافة وقال له : فيما يرويه المؤرخون : « يا علي قم حتى أبايعك فيقال عم رسول الله بايع ابن عمه فلا يختلف عليك بنو هاشم، وإذا لم يختلف عليك

---

(١) ابن قتيبة : المعارف، ص ١٧٠ .
اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي، جـ ٢، ص ١٢٣ - ١٢٤ .
المسعودي : التنبيه والاشراف، ص ٢٦٣ .
أبو الفداء : المختصر في أخبار الشر، جـ ١، ص ١٥٦ .
السيوطي : تاريخ الخلفاء، ص ١١٠ - ١١٢ .

(٢) عمر : بحوث في التاريخ العباسي، ص ٦٦، الناشر : دار القلم للطباعة، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٧٧م.

(٣) ابن قتيبة : الإمامة والسياسة، ص ١٢ .
غنيم : دور العباسيين في طلب الخلافة، ص ١٥ - ١٦ . الناشر : دار الوفاء للطباعة، طبعة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

بنو هاشم فلا تختلف عليك قريش، وإذا لم تختلف عليك قريش فلا يختلف عليك أحد».

فهذه الرواية دليل ظاهر على أن السبق لو لم يكن هو الشرط الأساسي في طلب الخلافة، وكانت القرابة تسبقه، أو تغني عنه لما رضي العباس أن يقدم عليه في هذا المنصب العظيم أحد. ولا يقال: إن العباس قد كان يجل علياً ويحبه، ولا يرغب أن يدخل معه في نزاع، فإن العباس[1] قد نازع أبا الحسن في ميراث النبي - عليه الصلاة والسلام -، واحتكم وإياه إلى كل من أبي بكر وعمر، وليس من المعقول ولا من المقبول أن يتخلى له راضياً عن الخلافة، وينازعه في هذا العرض التافه من أعراض الدنيا.

ولم يكن تقديم العباس لعليٍّ على نفسه عند وفاة النبي - عليه الصلاة والسلام -، واستخلاف أبي بكر وحسب، وإنما وقف معه هذا الموقف إثر وفاة عمر وقبل اختيار عثمان، فقد عرض عليه ألا يشارك في أعمال مجلس الشورى[2] لأنه كان يرى أن الكل سوف يتفق على إقصائه عن الخلافة، وأمام رفض عليٍّ لهذا الاقتراح عرض عليه اقتراحاً آخر وهو: أن يرفض[3] كل ما يعرضه أعضاء المجلس عليه إلا أن يضعوا مقاليد الخلافة بين يديه. وكما رفض عليٌّ الاقتراح الأول، فقد رفض كذلك الاقتراح الثاني، وقد بقي العباس بن عبد المطلب على رأيه هذا في تقديم علي عليه في طلب

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ ٥، ص ٢٨٧ - ٢٨٩.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ ٤، ص ٢٣٠.

(٣) الطبري: المصدر السابق، جـ ٤، ص ٢٣٠ - ٢٣١.

الخلافة حتى غادر هذه الدنيا في السنة المكملة للثلاثين[1] من الهجرة.

وقد نسج أبناء العباس - رضي الله عنهم -، على هذا المنوال بالنسبة للخلافة في حياة علي فلم يستشرفوا لها، ولم ينازعوه - كرم الله وجه - فيها، بل لقد كانوا يؤيدونه في إخلاص[2]، ويشدون سلطانه في قوة حتى بدأ نجمه يهوي، وأخذ كرسي الخلافة يهتز من تحته وذلك بعد صدور حكم الحكمين[3] وشن معاوية - رضي الله عنه - الغارة على أطراف دولته.

فإن عبدالله بن عباس - وهو أعظم أبناء أبيه وأوسعهم شهرة - قد انتهز فرصة الخلاف المالي الذي نشب بينه وبين عليٍّ وغادر البصرة مستقيلاً إلى الحجاز[4] ومن هذه العجالة المقتضبة يتبين لنا أن العباسيين لم يستشرفوا للخلافة ولا فكروا في السعي إليها إلا بعد زوال حكم الراشدين، وقيام دولة بن أمية.

---

(١) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص ٢٧١.
الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٤، ص ٣٠٧.
المسعودي: التنبيه والإشراف، ص ٢٧١.
ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٣، ص ٦٨.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٤، ص ٤٤٢.
ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٣، ص ٢٠٠.

(٣) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص ١٩٧ - ١٩٨.
الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص ١١٠ - ١٣٩.

(٤) الطبري: المصدر الصابق، جـ٥، ص ١٤١ - ١٤٣.
ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٣، ص ١٩٤.

وجاء الحسن بن علي[1] بعد استشهاد أبيه فقرب بني العباس، وأسند إلى عبدالله، أو إلى أخيه عبيدالله قيادة الجيش الذي كان قد حشده أبوه لمواجهة معاوية في معركة فاصلة غير أن هذا القائد قد وهن عزمه، وضعف إخلاصه عندما نُمي إليه أن الحسن قد فكر في التنازل عن الخلافة، وأنه يفاوض رسل معاوية من أجل تحقيق هذه الغاية، ومع أن عبدالله أو عبيدالله وسائر العباسيين لا يرضيهم أن تخرج الخلافة من البيت الهاشمي إلى البيت الأموي فإنه أي عبدالله أو أخاه قد رأى أن يعمل لصالحه وصالح أهل بيته، ويكسب له مكاناً في سلطان الغالب وهو معاوية.

ولهذا فإنه لم يكد يأتيه عرض معاوية بدخوله في طاعته، وبذل له المال من أجل ذلك حتى غادر عسكره ليلاً وانضم إلى عسكر معاوية[2] ومنذ هذه الوهلة والعباسيون يتظاهرون بالإخلاص لدولة بني أمية. فلم يشغبوا عليها ولا دخلوا وإياها في معركة حربية أو سياسية طوال حكم البيت السفياني، على الرغم مما كان يصب على أبناء عمهم العلويين من الأذى وما كان ينزل

---

(١) اتفق اليعقوبي والطبري في أن الحسن بعد استشهاد أبيه أسند قيادة الجيش إلى عبيدالله بن عباس، مع قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري، في اثني عشر ألفاً لقتال معاوية، وقد أمر عبيد الله أن يعمل بأمر قيس ورأيه.

إلا أننا نجد أن ابن الأثير في كتابه الكامل، قد اختلف معهم في الرأي، وذكر أن الحسن - رضي الله عنه - قد أمر عبد الله بن عباس على الجيش.

اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، جـ ٢، ص ٢١٤.

الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ ٥، ص ١٥٨.

ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ ٣، ص ٢٠٣.

غنيم: دور العباسيين في طلب الخلافة، ص ١٧.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ ٥، ص ١٥٨.

بساحتهم من الاضطهاد والقتل، وإن كانوا بين الفينة والأخرى يتظاهرون بالغضب لهم ومجافاة السلطان من أجلهم، ويبدو هذا واضحاً في رد عبدالله بن عباس[1] على الكتاب الذي بعثه إليه معاوية والذي طلب فيه منه أن يكون عوناً له على ابن الزبير. فقد أجابه ابن عباس غاضباً رافضاً مذكراً إياه بما كان منه تجاه الحسين وآله ورجاله على ثرى كربلاء. ولست أشك في أن العباسيين وإن تظاهروا خلال هذه الفترة بمهادنة بني أمية، فإنهم كانوا غير راضين عن انتقال الخلافة إليهم، وتعاقبها فيهم من رجل إلى رجل، وأنهم كانوا يعدون العدة ويجمعون الأهبة للإدالة منهم، والعمل على زوال سلطانهم، والدليل على هذا ما جاء في الطبري[2] وغيره من أنهم كانوا يوحون إلى شيعتهم بأن الأمر صائرٌ إليهم، وأن خيولهم سوف تجتاح الظلم والظلام وتعيد الحق إلى أهله وأولى الناس به. وأنهم قد حددوا ثلاثة أوقات لانطلاق دعوتهم[3] لتحقيق هذا الهدف وبلوغ هذه الغاية، وأول هذه الأوقات الثلاثة هو: هلاك الطاغية ويعنون به يزيد بن معاوية[4] فاختيارهم

---

(١) وهذا بعض مما ورد في كتاب ابن عباس - رضي الله عنه - أمابعد، فقد بلغني كتابك بذكر دعاء ابن الزبير إياي إلى نفسه وامتناعي عليه في الذي دعاني إليه من بيعته، فإن يك ذلك كما بلغك، فلست حمدك أردت، ولا ودك ولكن الله بما في النفس عليم. . . الخ.
اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص ٢٤٧ - ٢٥٠.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٣٩١ - ٣٩٣.
ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٤، ص ٣١٣ - ٣١٤.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٤٢١ - ٤٢٣.

(٤) استخلف أبو خالد يزيد بن معاوية بن أبي سفيان سنة ستين، وولي سنتين وثمانية أشهر، وتوفي سنة ثلاث وستين، وأمه ميسون بنت بحدل بن أنيف بن ولحة بن كنانة بن عدي بن حارثة الكلبي.
الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٥، ص ٤٩٩.

لهذا الوقت دليل قائم وحجة واضحة على أن استشرافهم للخلافة وسعيهم إلى الوصول إليها إنما كان منذ بداية قيام الدولة الأموية، ولا يقال هنا لماذا لم يسلكوا في مقاومة هذه الدولة مسلك أبناء عمهم العلويين، أو يضعوا أيديهم في أيديهم حتى يواجهوهم إلباً واحداً. فقد كان العباسيون يرون أن دولة بني أمية في أوج قوتها وعنفوان سلطانها، وأن منازلتها من غير خطة مدروسة ولا عدة محسوبة إلقاء بأيديهم إلى التهلكة، واستئصالهم لأنفسهم وأشياعهم من غير أن يحققوا هدفاً ويبلغوا غاية.

ولكي يستقطب العباسيون الأشياع ويجتذبوا الأنصار والأتباع فإنهم راحوا يسلكون إليهم بما يرون أنه يسيطر على عواطفهم ومشاعرهم ويملك حبات أنفسهم ونياط قلوبهم. ومن أجل هذا رأيناهم يوحون إلى أنصار هؤلاء بأن النبي - عليه الصلاة والسلام -، قد نبأ بأن الخلافة صائرة إليهم، وأنها باقية في أعقابهم إلى أن يسلموها إلى عيسى بن مريم. ونحن إذا راجعنا « الكامل » لابن الأثير[1]، و « البداية والنهاية » لابن

---

(١) قدم أبو مسلم خراسان وهو حدث السن فلم يقبله سليمان بن كثير، وخاف أن لا يقوى على أمرهم، فردوه، وكان أبو داود خالد بن إبراهيم غائباً خلف نهر بلخ، لما رجع إلى مرو أقرؤوه كتاب الإمام إبراهيم فسأل عن أبي مسلم فأخبروه أن سليمان بن كثير رده، فجمع النقباء وقال لهم: أتاكم كتاب الإمام فيمن بعثه إليكم فرددتموه فما حجتكم في رده، فقال سليمان: حداثة سنه وتخوفاً أن لا يقدر على هذا الأمر، فقال أبو داود: هل فيكم أحد ينكر أن الله تعالى بعث محمداً ﷺ واصطفاه وبعثه إلى جميع خلقه؟ قالوا: لا قال: أفتشكون أن الله تعالى أنزل عليه كتاباً فيه حلاله، وحرامه، . . . الخ.
ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٤، ص ٣٠١ - ٣٠٢.

كثير[1]، و « تاريخ الخلفاء » للسيوطي[2]. وغيرها من كتب السُّنَّة والتاريخ رأينا العشرات من هذه الأحاديث، صحيح أن بعضها سليم وبعضها سقيم لكنها كانت تجد طريقها إلى القلوب وتعرف سبيلها إلى الأفئدة والنفوس.

وثم وسيلة ثانية وهي[3]: ما كانوا يروونه عن محاورات بين عبدالله بن عباس، وبين معاوية بن أبي سفيان في دمشق، وكيف أن ابن عباس قد كان يؤكد لمعاوية بأنهم - أعني بني أمية - لا يملكون يوماً إلا ويملك العباسيون يومين.

وأخيراً وليس آخراً: هذا[4] العلم الذي كانوا يزعمون أن رسول الله - ﷺ -، قد استودعهم إياه قبل أن يفارق هذه الحياة، وكيف أنهم يعرفون به كل ما سوف يحدث في المستقبل، ومن بين هذا - بطبيعة الحال - ما سيحدث لهم هم ولأعدائهم حول الخلافة حتى ينتصروا عليهم ويظفروا بهم ويعلوا حقهم على باطلهم، ولقد أسرفوا في ذلك حتى حددوا أماكن

---

(١) قال البيهقي حدثنا الحاكم ثنا أبو بكر بن إسحاق وأبو بكر في آخرين قالوا: حدثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل عن أبي ميسرة مولى العباس قال: سمعت العباس قال: كنت عند النبي ﷺ ذات ليلة فقال: انظر هل ترى في السماء من شيء؟ قلت: نعم قال: ما ترى؟ قلت: الثريا، قال: أما إنه سيملك هذه الأمة بعدها من صلبك . . . الخ
ابن كثير: البداية والنهاية، جـ٦، ص ٢٤٥ - ٢٤٨.

(٢) قال الزبير بن بكار في الموفقيات: حدثنا علي بن صالح عن جدي عبد الله بن مصعب، عن أبيه عن ابن عباس - رضي الله عنه - قال لمعاوية: لا تملكون يوماً إلا ملكنا يومين، ولا شهراً إلا ملكنا شهرين ولا حولاً إلا ملكنا حولين.
السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٣١ - ٣٦.

(٣) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٣٤.

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٤، ص ٣١٣.

معاركهم، وأسماء قادة جيوشهم، ومن منهم سوف يسلم في هذه المعارك، ومن يحظى بالشهادة، أضف إلى هذا كله هذه الكتب التي كانوا يدعون أنها في أيديهم وأنها تحتوي على ما سيكون منهم ومن أعدائهم، وأسماء مساعديهم وصفاتهم وعلاماتهم، ويكفي للاستدلال على ذلك أن تقرأ خطاب[1] ابن داود خالد بن إبراهيم في النقباء بعد ردهم لأبي مسلم، وخطاب[2] قحطبة ابن شبيب إثر قتل نباته بن حنظلة، فقد تضمن الخطاب الأول أن النبي - عليه الصلاة والسلام - قد أوتي علم ما كان وما سيكون إلى يوم القيامة، وأن هذا العلم لم يقبض بوفاته وإنما استودعه عترته وأهل بيته الأقرب منهم فالأقرب، وأن الإمام وهو يومئذ محمد بن علي بن عبدالله بن عباس إنما يختار مساعديه بناءً على العلم المؤتمن عليه من النبي - عليه الصلاة والسلام - وتضمن الخطابان الثاني، والثالث[3] أن قحطبة بن شبيب قد كان على علم سابق بالمعارك التي سوف يخوضها وبما سيكون فيها من نصر وهزيمة، وأن علمه هذا قد تلقاه من الإمام مباشرة.

ولا جدال فيما كان لهذه الوسائل من القدرة على استقطاب الأشياع، واجتذاب الأنصار والأتباع من جهة، وتعميق إيمانهم بحق بني العباس في

---

(١) قدم أبو مسلم خراسان وهو حدث السن فلم يقبله سليمان بن كثير وخاف أن لا يقوى على أمرهم، فرده وكان أبو داود خالد بن إبراهيم غائباً خلف نهر بلخ . . . الخ.
ابن الأثير: المصدر السابق، جـ ٤، ص ٣٠١ - ٣٠٢.

(٢) قدم قحطبة منزل بإزاء نباته وأهل الشام في عدة لم ير الناس مثلها فلما رآهم أهل خراسان هابوهم حتى تكلموا بذلك وأظهروه، فبلغ قحطبة قولهم فقام فيهم فقال: يا أهل خراسان هذه البلاد التي كانت لآبائكم الأولين، وكانوا ينصرون على عدوهم لعدلهم . . . إلخ.
ابن الأثير: المصدر السابق، جـ ٤، ص ٣١٣.

(٣) ياقوت: معجم البلدان جـ ٤، ص ٣٥٣.

الخلافة، وأنها صائرة إليهم لا محالة من جهة أخرى. وإن الباحث ليتساءل عن مدى صحة هذه الأخبار؟ وهل هي سليمة النسبة إلى ابن عباس وابنه علي وحفيده محمد؟ ويبدو لي أن أكثر هذه الأخبار ملفقة عليهم، وبالتالي فهي غير صحيحة النسبة إليهم. أما الأحاديث فلأن الحافظ ابن كثير[1]، والسيوطي[2] قد وسماها كلها بالضعف، وأنه ليس فيها حديث واحد إلا وحوله كلام. أما هذا العلم الذي أودعه رسول الله - ﷺ - عندهم وهذه الكتب التي كانوا يعرفون منها ما لا يزال مسطوراً خلف حجب الغيب، فإن ما نعلمه من الدين شيء وهذان الأمران شيء آخر. فقد جاء في القرآن الكريم أن الله تعالى وحده قد استأثر بالغيب فلا يعلمه إلا هو، قال تعالى: ﴿ **وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ** ﴾[3] وجاء في القرآن الكريم كذلك: أن محمداً ﷺ نفسه لا يعلم الغيب، قال تعالى: ﴿ **وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ** ﴾[4]. صحيح أن الله يُطلع من يشاء من رسله على هذا الغيب، ولكن ذلك مبرر لغرض وظروف مقتضية، واقرأ في هذا قوله تعالى: ﴿ **عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا** ﴾[5]. وإذا ثبت هذا كله تبين لي: أن ما نسب إلى هؤلاء الأئمة الكرام غير صحيح وأنه إنما لفق وصنع من أصحاب النحَلِ والأهواء إرضاء للخلفاء العباسيين بعد قيام

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ٦، ص ٢٤٥ - ٢٤٦.

(٢) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٣٠ - ٣٣.

(٣) سورة الأنعام: الآية ٥٩.

(٤) سورة الأعراف: الآية ١٨٨.

(٥) سورة الجن: الآية ٢٦.

دولتهم واستقرار أركان سلطانهم، وإذا سلم شيءٌ من هذا أيام الدعوة لبني العباس فإن مرده إلى الغلاة من أنصارهم من أمثال خداش[1] الذي كان ينسب إلى محمد بن علي بن عبدالله بن عباس ما لم يقله بل ما يستحيل أن يقوله كما سوف نوضح هذا في حينه، وبهذه الوسائل أوأشباهها تقاطر الناس على العباسيين وأووا إلى ظلالهم ولا سيما الكيسانيون أصحاب المختار بن أبي عبيد[2] الذي استولى على الكوفة، واستقطب من حوله الموالي الساخطين على العرب عامة، وعلى الأمويين منهم خاصة، والسبب في هذا أن أبناء علي - رضي الله عنه - لم يكونوا يطمئنون إلى المختار، ولا كانوا يوافقونه على الكثير مما يستحدثه.

---

(١) هو عمار بن يزيد وجهه بكير بن ماهان إلى خراسان والياً على شيعة بني العباس، فنزل - فيما ذكر - مرو وغير اسمه وتسمى بخداش، ودعا إلى محمد بن علي فسارع إليه الناس، وقبلوا ما جاءهم به وسمعوا إليه وأطاعوه، ثم غير ما دعاهم إليه وتكذب وأظهر دين الخرمية، وقد قتله أسد بن عبدالله القسري، وكان قد تولى أمرالدعوة في خراسان من عام ١١٥ - ١١٨هـ. في خلافة هشام بن عبد الملك.

الطبري: تاريخ الأمم والملوك جـ٧، ص ١٠٩.

شاكر: التاريخ الإسلامي - الدولة العباسية، جـ١، ص ٦٥ - ٦٦، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م.

(٢) هو المختار بن أبي عبيد بن مسعود بن عمرو الثقفي، من الأحلاف ويقال إن مسعوداً جده هو عظيم القريتين، وقد غلب المختار على الكوفة زمن مصعب بن الزبير، وكان يزعم أن جبريل يأتيه، وتتبع قتلة الحسين بن علي - رضي الله عنهم - وقد قتل زمن ضرار بن يزيد الحنفي. وكانت ثورة المختار في الكوفة سنة ٦٤هـ.

ابن قتيبة: المعارف، ص ٤٠٠ - ٤٠١.

الشهرستاني: الملل والنحلل، تحقيق سيد كيلاني، جـ١، ص ١٤١، الناشر: دار المعرفة - بيروت - لبنان.

فمحمد بن الحنفية[1] قد أنكر عليه ادعاءه أنه وزيره والمتكلم باسمه، صحيح أنه قد استنجد به من ضغط ابن الزبير عليه، وتهديده إياه بالإحراق له هو ومن معه إذا هو لم يدخل في بيعته غير أن ذلك قد كان لظروف ماسة، فلما زالت عاد ابن الحنفية إلى مثل موقفه منه، وعلى العكس من هذا كان عبدالله بن عباس، فقد أثنى على المختار بعد ما جاءه نبأ قتله ووصفه بأنه قد وقف إلى جانبهم، وأخذ بالثأر ممن قتل لهم يعني الحسين بن علي ومن استشهد معه على ثرى كربلاء[2] ولا شك في أن تصريح ابن عباس هذا جدير بأن يستقطب أصحاب المختار[3] ومن ينسجون على منوالهم ويجعلهم يأوون إلى ظلال العباسيين.

ب - مراكز الدعوة وجهازها السري:

وأمام تزايد شيعة بني العباس وتدفقهم إليهم من كل مكان، راح

---

(١) هو محمد بن علي بن أبي طالب المعروف بابن الحنفية، توفي في سنة إحدى وثمانين في المدينة، ودفن في البقيع، وكان يكنى بأبي القاسم، وقبض وهو ابن خمس وستين سنة، وقيل إنه خرج إلى الطائف هارباً من ابن الزبير فمات بها، وقيل إنه مات بآيلة. وهناك قول الكيسانية إنه بجبل رضوى.
المسعودي: مروج الذهب، جـ٣، ص ٧٧ - ١١٦.
الشهرستاني: الملل والنحل، جـ١، ص ١٤١.
شاكر: الدولة العباسية، ص ٤٣.

(٢) حدثت موقعة كربلاء في عام ٦١هـ وقد قتل فيها الحسين بن علي بن أبي طالب - طيب الله ثراه -، وقتل معه من بني هاشم العباس بن علي بن أبي طالب، جعفر بن علي بن أبي طالب، وعثمان بن علي بن أبي طالب، وغيرهم الكثير من بني هاشم.
الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٥، ص ٤٠٠ - ٤٧٠.
ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٣، ص ٢٧٩ - ٢٩٦.

(٣) سبقت له الترجمة.

العباسيون يخططون لدعوتهم التي يستهدفون من ورائها إسقاط الحكم الأموي، واستواءهم هم على أريكته من بعدهم، ولا خلاف بين الباحثين في أنهم قد وضعوا لذلك خطة قد كانت غاية في الدقة والإحكام وأنهم بوصفهم إياها قد استحقوا أن يكونوا في مقدمة بناة الدول ومنشئي الممالك، وهذه الخطة التي وضعوها وضعوها قائمة على دعامتين:

إحداهما : المراكز التي اختاروها للدعوة.

والثانية : الجهاز السري الذي أناطوا به هذه المهمة: فأما مراكز الدعوة فقد كانت أربعة هي:

أولاً: الحميمة[1]:

وكانت مقر الإمام وأهل بيته، وهي قرية من أرض الشراة من أعمال عمان، على مقربة من الشوبك، ومن إقليم البلقاء بالأردن. وقد يتساءل الباحث عن الأسباب التي من أجلها نزل الإمام هذه القرية؟ والجواب: أن من المؤرخين من يدعي أن الخليفة الأموي وهو الوليد بن عبدالملك هو الذي أجلاهم إليها من دمشق إثر مقتل سليط بن عبدالله بن عباس، واتهام علي بن عبدالله بن عباس فيه، ويبدو لي أن العباسيين هم الذين اختاروا هذه القرية وآثروها على غيرها، والسر في هذا هو أنها كانت قريبة من دمشق قصبة الخلافة الأموية، وأن وجودهم فيها وتدبير أمر الدعوة منها مما يموه على بني

---

(١) ياقوت: معجم البلدان، جـ ٤، ص ٣٠٧.
البغدادي: مراصد الاطلاع، جـ ١، ص ٤٢٨.

أمية حالهم، ويصرفهم عن ملاحظتهم ومراقبتهم، إذ يبدو أن من البعيد في أعين الأمويين أن يتخذ العباسيون الحميمة هذه مقراً للعمل على إسقاط الدولة الأموية وهي قاب قوسين أو أدنى من قصبة ملكها وعاصمة خلافتها.

ويمكن الجمع بين مقالة هؤلاء المؤرخين، وبين ما ذهبنا إليه فيقال: إن الوليد بن عبدالملك قد أجلى علياً وأهل بيته من دمشق إلى الحميمة، وإنهم - أعني العباسيين - لما دخلوا هذه القرية ودرسوا موقفها تبين لهم أنها خير مكان يمكن أن يديروا منه أمرهم فآثروه وفضلوه على غيره.

ثانيا الكوفة[1]:

وكانت مقر النائب الذي يتحدث باسم الإمام، ويتولى إبلاغ أوامره ونواهيه إلى الدعاة ونقبائهم الذين يرأسونهم ويتولون الإشراف عليهم، والكوفة: هي إحدى المدن أو الأمصار التي بنيت في عهد أمير المؤمنين عمر - رضي الله عنه - وقد اختلف المؤرخون في العام الذي بنيت فيه، واختلفوا في السبب الذي من أجله أطلق عليها هذا الاسم، واختلفوا في أمور أخرى كثيرة حول هذه المدينة مما لا داعي لتفصيله هنا، وقد شهدت الكوفة منذ بنائها حتى آخر الدولة الأموية الكثير من الأحداث الدينية، والاجتماعية والسياسية، فمنها خروج[2] فريق من الثائرين على عثمان

(١) ياقوت: معجم البلدان، جـ٢، ص ٤٩٠ - ٤٩٢.
البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢٧٤ - ٢٧٥.
البغدادي: مراصد الاطلاع، جـ٣، ص ١١٨٧.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٤، ص ٣٣١ - ٣٥٢. =

والمشاركين في حصره وقتله، وإليها انتقل مقر الحكم من المدينة المنورة في خلافة أمير المؤمنين علي - رضي الله عنه - وظلت عاصمة الدولة، وقصبة السياسة طوال عهده وعهد ولده الحسن من بعده، وقد شهدت الكوفة الكثير من الثورات والانتفاضات طوال الحكم الأموي، ففيها اشتعلت الثورة الشيعية الأولى على يد حجر بن عدي الكندي[1]، وإليها خرج الحسين بن علي[2] فتجرع كأس المنية هو وآله ورجاله على ثرى كربلاء، ومنها خرج التوابون[3] يطلبون بالثأر من قتلة الحسين، وفيها قامت الدولة الشيعية الأولى على يد المختار بن أبي عبيد، وثمت ثورات أخرى: منها ثورة العراق على حكم عبدالملك بقيادة عبدالرحمن بن الأشعث[4]، وثورة زيد بن علي[5] وولده يحيى إلى آخره مما شهدته هذه

= ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٣، ص ٧٧ - ٨٤.

(١) كان يكنى أبا عبد الرحمن، وفد إلى النبي ﷺ، وأسلم، وشهد القادسية، وشهد الجمل، و« صفين، مع علي - كرم الله وجهه - قتله معاوية سنة ثلاث وخمسين، وكانت ثورته في الكوفة سنة ٥١هـ.

ابن قتيبة: المعارف، ص ٣٣٤.

الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٥، ص ٢٥٣ - ٢٧١.

(٢) الطبري: المصدر السابق، جـ٥، ص ٤٠٠ - ٤٧٠.

(٣) كانت ثورة التوابين سنة خمس وستين للهجرة، وكان قائدها سليمان بن صرد.

الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٥، ص ٥٨٣ - ٦٠٩.

(٤) الطبري: المصدر السابق، جـ٦، ص ٣٤٢ - ٣٥٠.

(٥) هو زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ورد في قول الواقدي: أنه قتل في صفر سنة سنة إحدى وعشرين ومائة، وكانت ثورته في الكوفة سنة إحدى وعشرين ومائة.

الطبري: المصدر السابق، جـ٧، ص ١٦٠، ١٧٣.

المدينة من ظلم وعسف في عهد كل من زياد بن أبيه والحجاج بن يوسف الثقفي[1] وخالد بن عبد الله القسري[2]، ويوسف بن عمر[3].

والذي يستعرض الأحداث المختلفة التي شهدتها مدينة الكوفة، ويقرأ تاريخ زعمائها وقادتها يتبين له أنها هي إحدى قلاع الشيعة، وأن سكانها قد كانوا أنصاراً لأمير المؤمنين علي - رضي الله عنه - وإن اختلفت درجة تشيعهم له، ومحبتهم إياه، وهذا هو السبب الذي من أجله وقع اختيار العباسيين عليها لتكون مقراً لنواب الإمام، ومبلغي أوامره ونواهيه إلى الدعاة ونقبائهم في خراسان. وقد يرد على البال هنا سؤال وهو: كيف يختار العباسيون الكوفة وهي مقر العلويين ومجمع أنصارهم لتكون المركز الثاني لنشر دعوتهم؟ والجواب: - فيما أرى - أن العباسيين لم يكونوا في بداية أمرهم يظهرون الدعوة إليهم وحدهم وإن كان ذلك قد كان سراً ائتمنوا عليه النواب والنقباء، وإنما كانوا يدعون إلى الرضا من آل البيت وذلك حتى تجتمع عليهم الكلمة ولا يقف أبناء عمهم العلويون من بداية أمرهم منهم موقف المخالفة والمعارضة.

---

(١) هو الحجاج بن يوسف بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر بن متعب بن مالك بن كعب - من الأحلاف - الثقفي ولاه عبد الملك الحجاز ثم العراق فوليها عشرين سنة، وهلك بواسط سنة خمس وتسعين في شهر رمضان.
ابن قتيبة: المعارف، ص ٣٩٥ - ٩٣٨.

(٢) هو خالد بن عبد الله القسري بن يزيد بن أسد بن كُرز البجلي ثم القسري، ولي العراق مدة من الزمن.
ابن قتيبة: المصدر السابق، ص ٣٩٨ - ٣٩٩.

(٣) هو يوسف بن عمر بن مهر بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود - ابن عم الحجاج - ولي اليمن لهشام بن عبدالملك ثم ولاه العراق.
ابن قتيبة: المصدر السابق، ص ٤٠٠.

وسبب ثان: وهو أن العباسيين لم يختاروا هذه المدينة لتكون حقلاً لدعوتهم ولا ميداناً لأشياعهم وأنصارهم، وإنما قصروا أمرها على جانب واحد وهو أن تكون مقراً لنواب الإمام الذين أنيط بهم توجيه الدعوة وقيادة الدعاة، والذين لم يزيدوا عن كونهم واسطة أو صلة لنقل أوامر الإمام وتوجيهاته.

المركز الثالث الحجاز:

والعباسيون لم يختاروا هذا المركز لكثرة أنصارهم فيه ولا لانطواء مريديهم على الحب لهم والعطف عليهم، فقد كان الأمر على العكس من ذلك تماماً، كما يقرر صاحب الآداب السلطانية، وإنما كان السبب في هذا الاختيار هو تدفق الناس إليه في موسم الحج، واختلاط حابلهم بنابلهم حول المناسك والمشاعر، مما يتيح الفرصة أمام من يريدون من شيعتهم من الالتقاء به والتحدث إليه من غير إثارة لأنظار الأمويين ولا دفع لهم إلى تتبعهم وتعقبهم، ومن أجل هذا فإن الشيعة لم يكونوا يأتون إلى هذا الإقليم إلا في موسم الحج، وإن اضطرتهم الظروف فإنهم كانوا يأتون هذا الإقليم في الأوقات التي يكثر تدفق المسلمين فيها إلى العمرة، وذلك مثل شهري رجب ورمضان.

ويبقى المركز الرابع وهو أهمها جميعاً، وأحراها بالبحث والدرس وهذا المركز هو:

المركز الرابع خراسان :

وقد وصفه صاحب معجم البلدان وصفاً جغرافياً فقال[1]: « خراسان بلاد واسعة أول حدودها مما يلي العراق - وآخر حدودها مما يلي الهند وطخارستان وغزنة وسجستان وكرمان، وليس ذلك منها إنما هو أطراف حدودها، وتشتمل على أمهات من البلاد فيها نيسابور وهراة، ومرو وهي كانت قصبتها وبلخ وطالقان، ونسا وأبيورد، وسرخس، وما يتخلل ذلك من المدن التي دون نهر جيحون، ومن الناس من يدخل أعمال خوارزم فيها، ويعد ما وراء النهر منها وليس الأمر كذلك ».

وقد توجه اهتمام المسلمين إلى فتح هذه البلاد في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب[2] غير أن هذا الفتح لم يتم إلا في عهد ذي النورين عثمان - رضي الله عنه - وعلى يدي أمير البصرة آنذاك وهو عبدالله بن عامر بن كريز الذي كان كذلك أول وال من قبل الخلافة الإسلامية. وهذه لمحة جغرافية وتاريخية موجزة عن خراسان. والسؤال الذي يعرض للباحث الآن هو: ما هي الأسباب التي من أجلها اختارها العباسيون لتكون حقلاً لدعوتهم، ومجمعاً لأنصارهم وشيعتهم، ومنطلقاً لجنودهم الذين سوف يجتاحون بهم دولة بني أمية؟

والجواب: أن المؤرخين قد ذكروا أسباباً كثيرة لهذا الاختيار بعضها

---

(١) ياقوت: معجم البلدان، جـ٤، ص ٣٥٠.
البغدادي: مراصد الاطلاع، جـ١، ص ٤٥٥ - ٤٥٦.

(٢) ياقوت: معجم البدان، جـ٤، ص ٣٥٠ - ٣٥٢.
ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٧، ص ٦١ - ٦٤.

راجع إلى طبيعة هذا الإقليم[1] فهو إقليم جبلي واسع يصعب على الأمويين السيطرة عليه، وإخضاع الأعداء إذا هم أشعلوا نيران الثورة فيه. وهو بعيد عن مركز الخلافة[2] وقبضتها القوية التي ترهب خصوم الدولة ونعاة العبث والانتقاد. وبعضها راجع إلى عقائد[3] أهله وما نشؤوا عليه. ومن ذلك ما كانوا يؤمنون به من قداسة الدماء الملكية وطهارتها، وأن الحكم حق لمن تجري فيهم هذه الدماء، ويتوارثه الأبناء منهم عن الآباء، وقد كان هؤلاء ينظرون إلى الخلافة كما ينظرون إلى الملك، فهي في رأيهم إرث خالص لأهل بيت النبي - صلى الله عليه وسلم - لا يتنازعون عليه ولا يمارون فيه.

وثمت أسباب أخرى كثيرة منها: ما هو عائد إلى الحياة[4] السياسية التي يحياها الفرس عامة والخراسانيون خاصة، فقد دخلت هذه الأمم الإسلام الذي كان يسوي بين الناس كافة، ولم يكن فيه فضل الجنسٍ على جنس، ولا لعنصر على عنصر إلا بالتقوى، وقد ذاق الفرس حلاوةً هذه المساواة وتفيؤوا ظلها الوارف أيام الراشدين، فلما جاءت دولة بني أمية

---

(١) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٣٥٨، الناشر: مكتبة الحياة - بيروت - لبنان - طبعة ١٩٧٩م.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٩٩.
شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي، جـ٣، ص ٣٧.

(٣) العمرو: أثر الفرس السياسي في العصر العباسي الأول، ص ١٢٢، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، عالم دراسات في تاريخ العرب العصر العباسي الأول، ص ٣٤، الناشر: مؤسسة ثياب الجامعة.
الخضري: تاريخ الأمم الإسلامية، ص ١٤، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى - مصر، طبعة ١٩٧٠م.

(٤) الخضري: المرجع السابق، ص ١٤.

آذتهم واضطهدتهم وجعلتهم في الصف الثاني من المواطنين، ولم تسَوِّ بينهم وبين العرب في الحقوق والواجبات حتى الجزية التي لم يكن يدفعها غير أهل الذمة فإن حكومة بني أمية قد كانت تأخذها حتى ممن دخل منهم في الإسلام. والذي يراجع صحائف التاريخ يرى الكثير من صنوف الظلم والعسف التي كانت تصب على رؤوس الموالي صباً، من أجل هذا مقت أهل خراسان الحكم الأموي وتاقت نفوسهم إلى الخلاص منه ولم يترددوا في الاستجابة لكل من يدعوهم إلى نقضه وتغييره.

وسبب ثان: مرجعه إلى اللياقة البدنية[1] لهذا الشعب وقدرته على حمل أعباء الجهاد ورفع عقيدته. هذا فضلاً عما جبلوا عليه من الانقياد لمن يستجيبون له ويضعون أيديهم في يده.

وأخيراً وليس آخراً هذا السبب وهو[2] اشتعال نار العصبية القبلية بين اليمانية والنزارية في خراسان، وهي فرصة لو اهتبلها سياسي ماهر لاستطاع أن يضرب العرب بعضهم ببعض في هذا الإقليم، وأن يقضي عليهم بعد ذلك لصالح من يدعو إليهم ويعمل من أجلهم. وقد كان الأئمة العباسيون على وعي كاف بأحوال الدولة آنذاك وما يصلح من أقاليمها للدعوة وما لا يصلح. وأنت ترى هذا واضحاً في هذا الحديث الذي أفضى به محمد بن علي بن عبدالله بن عباس إلى النفر الذين أسند إليهم مهمة الدعوة فقد جاء

---

(١) شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي، جـ٣، ص ٣١.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٢٨٥ - ٢٩٣.
ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٤، ص ٢٧٤ - ٢٧٥.
المسعودي: مروج الذهب، جـ٣، ص ٢٣٢.

فيه ما نصه[1]: « أما الكوفة وسوادها فهي شيعة علي وولده، والبصرة وسوادها فعثمانية تدين بالكف، وأما الجزيرة فحرورية مارقة، وأعراب كأعلاج، ومسلمون أخلاقهم كأخلاق النصارى، وأما أهل الشام فليس يعرفون إلا آل أبي سفيان، وطاعة بني مروان، عداوة راسخة وجهل متراكم، وأما مكة والمدينة فغلب عليها أبو بكر وعمر، ولكن عليكم بأهل خراسان فإن هناك العدد الكبير والجلد الظاهر وهناك صدور سليمة، وقلوب فارغة لم تتقاسمها الأهواء ولم تتوزعها النحل، ولم يقم عليهم فساد، وهم جند لهم أبدان وأجسام ومناكب وكواهل، وهامات ولحى وشوارب وأصوات هائلة، ولغات فخمة تخرج من أجواف منكرة ».

فقد أوضح محمد بن علي السبب الذي من أجله آثر خراسان على غيرها لتكون حقلاً للدعوة وميداناً للصراع بينهم وبين بني أمية وهو: أنه ما من إقليم من أقاليم الدولة الإسلامية إلا وفيه ما يحول بينه وبين اختياره، فالشام مقر أنصار الأمويين وشيعتهم، والجزيرة ميدان الخوارج ومجال مذهبهم ونحلتهم. وهكذا وصف كل إقليم بما لا يسمح باختياره له ونشر دعوته فيه.

أما خراسان فقد وصف أهلها بالجلد وكثرة العدد وسلامة القلوب من المذاهب والنحل التي تشتت أمرهم وتفرق صفهم، فهم إذاً لفراغ ضمائرهم

(١) ياقوت: معجم البلدان، جـ ٤، ص ٣٥٢.
ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية، ص ١٢٤.
الخضري: تاريخ الأمم الإسلامية، ص ١٤.
العمرو: أثر الفرس السياسي في العصر العباسي الأول، ص ١٢١ - ١٢٢.

وخلو أفئدتهم أصلح البيئات التي تغرس فيها دعوتهم، وينمو فيها حبهم والانقياد لهم. ولا جدال فيما يشير إليه هذا النص من العمق السياسي، والمعرفة الواسعة لشتى أحوال المسلمين والظروف المحيطة بهم والمؤثرة فيهم، وإذا عرفنا أن محمداً[1] هذا هو أول إمام رسمي للعباسيين، وأول منظم لدعوتهم تبين لنا كيف أن هؤلاء الأئمة قد كانوا على وعي ودراسة مكنتهم من إحكام خطتهم، وتدبير دعوتهم حتى بلغوا الغاية وأدركوا الهدف.

(جـ) الجهاز السري للدعوة:

والآن وقد عرفنا مراكز الدعوة الأربعة وأمطنا النقاب عن الأسباب التي كانت وراء اختيار كل واحد منها، فقد آن لنا أن ننتقل إلى النقطة الثانية وهي الجهاز المسؤول عن إدارة الدعوة ونشرها. ولا خلاف بين الباحثين في أن العباسيين قد أقاموا جهازهم السري على المستوى نفسه الذي تم على أساسه اختيارهم لمراكز الدعوة الأربعة، فهو يتألف من أربع حلقات بعضها

---

(١) محمد بن علي بن عبدالله بن عباس، أول من قام بالدعوة العباسية، وهو والد السفاح والمنصور، ولي إمامة الهاشميين سراً في آواخر أيام الدولة الأموية، وكان مقامه بأرض الشام والمدينة، ومولده بها في قرية تدعى الحميمة، وبدأ دعوته سنة ١٠٠هـ، وكانت وفاته في مستهل ذي القعدة سنة مائة وخمس وعشرين، وهو ابن ثلاث وستين سنة، وكان بين وفاته ووفاة أبيه علي سبع سنين.

الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٢٢٧.

الدينوري: الأخبار الطوال، ص ٣٣٢.

المقريزي: مخطوطة منتخب التذكرة، ص ٨٧.

الزركلي: الأعلام، جـ٦، ص ٢٧١، الطبعة الرابعة، ١٩٧٩م، الناشر: دار العلم للملايين.

فوق بعض وهو يحيط كل حلقة منها بما يحميها ويحول بينها وبين المخاطر التي يمكن أن تعترض طريق سيرها، وهذه الحلقات الأربع هي:

الإمام ونائبه في العراق، ونائبه في خراسان، والنقباء الاثنا عشر، والدعاة، وهم سبعون بما فيهم نقباؤهم المشار إليهم من قبل. ولكي يتضح هذا الجهاز وتتميز كل حلقة منه عن أخواتها فلابد من كلمة موجزة حول كل منها:

فإمام الدعوة: هو رئيس الجهاز وصاحبه والمتحدث باسمه، ومن تجب على الجميع طاعته والانقياد لأمره ونهيه، وقد تعاقب على هذه الوظيفة منذ ابتدائها في العام المكمل للمائة حتى قيام الدولة العباسية في العام الثاني والثلاثين بعد المائة ثلاثة وهم: محمد بن علي[1] بن عبدالله بن عباس، وابناه إبراهيم[2] وعبدالله[3] الذي لقب فيما بعد بالسفاح.

فأما محمد[4] فقد ولد في الحميمة، والمؤرخون لا يذكرون على سبيل

---

(١) سبقت الترجمة له.

(٢) إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، قام بالأمر بعد أبيه علي، توفي سنة ١٣٢هـ.
الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٤٣٥ - ٤٣٦.
الدينوري: الأخبار الطوال، ص ٣٣٩.

(٣) أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي، أوصى له أخوه إبراهيم بالأمر من بعده، وقد تولى أمور الخلافة في يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة ١٣٢هـ، وكانت وفاته بالأنبار يوم الأحد لثلاث عشرة خلت من ذي الحجة سنة ١٣٦هـ.
الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ص ٤٧ - ٤٧١.

(٤) الطبري: المصدرالسابق: جـ٧، ص ٢٢٧.
الدينوري: الأخبار الطوال، ص ٢٣٢.
الزركلي: الاعلام، جـ٦، ص ٢٧١.

التحديد الزمان الذي ولد فيه، غير أنهم يكادون يتفقون على أن وفاته قد كانت في الحميمة كذلك، وفي العام الخامس والعشرين بعد المائة، أو قبله بعام، أو بعده بعام، وأن عمره آنذاك ثلاث وسبعون سنة، وبعملية حسابية بسيطة نستطيع أن نعرف العام الذي ولد فيه وهو العام الحادي والستون، أو الثاني والستون، أو العام الذي يليه، غير أن هذا التحديد سوف ينفي ما ذكره المؤرخون من أن مولده قد كان في الحميمة وهو الحق. وذلك لأن العباسيين لم يكونوا قد دخلوا هذه القرية بعد وإنما كانت إقامتهم أو إقامة أكثرهم آنذاك في مكة.

وأيًا ما كان فإن محمداً هذا قد كان أول من تولى شؤون الدعوة في العام المكمل للمائة[1] وأنه قد كان على جانب كبير من العلم، فقد كان يروي الحديث، وكانت له دراية لا بأس بها في علوم عصره. وقد ينشأ هنا سؤال: وهو كيف تولى محمد الإمامة في حياة أبيه علي، وظل متربعاً على أريكتها حتى توفي والده في العام الثامن عشر بعد المائة؟

والجواب: أن ذلك راجعٌ إلى سببين:

أحدهما: أن علياً لم تكن لديه القدرة على كتمان سره وإخفاء أمره، فقد كان دائماً ما يبشر بأن الخلافة سوف تكون في أبنائه حتى أمام الخليفة

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٦، ص ٥٦٢. =
ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٤ ص ١٥٩.
الدينوري: الاخبار الطوال، ص ٣٣٢ - ٣٣٣.
ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية، ص ١٤٣ - ١٤٦.
المقريزي: مخطوط منتخب التذكره، ص ٨١.

الأموي نفسه مما جعله يغضب عليه ويأمر بضربه بالسياط.

والسبب الثاني هو: أن العلاقة قد كانت سيئة بينه وبين الخلفاء الأمويين من بني مروان، الأمر الذي يجعله تحت الملاحظة الدائمة، والمراقبة المستمرة، وقد سبق وقلنا: إنه قد تزوج من مطلقة عبدالملك بن مروان، وأن الوليد بن عبدالملك قد كان يكرهه؛ لذلك قد عمل جاهداً على إلصاق تهمة قتل سليط بن عبدالله بن عباس به، الأمر الذي مكنه من جلده وحبسه ونفيه عن دمشق إلى الحميمة. وعلى كل حال فإن محمد بن علي قد لبث في منصب الإمامة ما يربو على خمس وعشرين سنة، فإليه إذن يرجع الفضل في بدئها وتنظيمها واختيار النواب والنقباء والدعاة فيها، وإليه يرجع الفضل كذلك في رسم منهجها وانتقاء مراكزها وإسدال السرية عليها حتى تمت واستغلظت واستوت على سوقها، وقد كان لما أعطاه الله لهذا الإمام من جمال الصورة وتوقد العبقرية، وسعة المعرفة وحلاوة الحديث وسلامة المنطق الأثر الطيب فيما أحرز من فوز وما حقق من نجاح.

وجاء بعده ولده إبراهيم[1] وهو أكبر أبنائه، ويظهر أن قيادة هذا الإمام للدعوة ووصوله بها إلى ما يقرب من النهاية قد صرف الرواة عن تتبع حياته منذ ولادته حتى استوى على أريكة الإمامة في العام الخامس والعشرين أو العام الذي يليه. فلم يذكروا متى ولد، ولا أين ولد، ولا كيف قضى سني طفولته وشبابه، وعلى العكس من ذلك تماماً كان حديثهم عنه منذ تولى شؤون منصبه كما سوف نوضح هذا ونحن نتابع أعماله، وقد يختلف

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٤٣٥ - ٤٣٧.
الدينوري: الأخبار الطوال، ص ٣٣٩.

المؤرخون في سبب وفاته في العام الثاني والثلاثين بعد المائة، وقد نقل لنا الطبري في ذلك ثلاث روايات إحداها: أنه لم يقتل وإنما هلك بالطاعون، وهذه هي رواية أحمد بن زهيرة والروايتان الثانية والثالثة قد رواهما عمر بن شبه وقد ذكرت الأولى: أن مروان بن محمد قد أدخله بيتًا وهدمه عليه، وذكر في الثانية أنه قد دس له السم في اللبن.

والذي يتتبع ما سجله رواة الطبري يتبين له أن الرجل قد اغتيل ولم يمت حتف أنفه والدليل على هذا: أن مروان لما اكتشف أمره واطلع على خبء سره جد في البحث عنه حتى قبض عليه، وليس من المعقول وقد ظفر مروان بضالته أن يدعها تفلت من يده، بل إن حزمه ويقظته وسرعته في البطش بخصومه كل ذلك يدفعه دفعاً إلى قتله والاستراحة منه.

ولا خلاف بين الباحثين من أن إبراهيم الإمام[1] قد كان أحد دهاة بني العباس وعباقرتهم، فإليه يرجع الفضل في انتقال الدعوة من المرحلة السرية إلى مرحلة الجهر والعلن، وإليه يرجع الفضل كذلك في المقاومة المسلحة التي أجهزت على الحكم الأموي في خراسان وفارس وامتد زحفها حتى ابتلعت الدولة بأكملها.

وأخيراً وليس آخراً فإن الفضل يرجع إلى إبراهيم في اختيار كلٍ من

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٤٣٦ - ٤٣٧.
إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم، قام بالأمر بعد أبيه محمد بن علي وكان أكبر ولده.
الدينوري: الأخبار الطوال، ص ٣٣٩.

أبي مسلم[1] الذي مهد الأمر لبني العباس في خراسان، وقحطبة بن شبيب[2] الذي تولى قيادة جيوشها المظفرة حتى أصبحت قاب قوسين أو أدنى من الكوفة. وجاء الإمام الثالث وهو أبو العباس عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس[3] ولا خلاف بين الرواة في أن مولده قد كان في الحميمة وفي العام الرابع بعد المائة، ولا خلاف بينهم كذلك في أن أخذه بمقاليد الإمامة قد كان في السنة الثانية والثلاثين بعد المائة وفور هلاك أخيه إبراهيم، والرواة[4] يذكرون أنه لما توجه الجند بإبراهيم إلى مروان بن محمد خرج أبو العباس هذا هو وأهله قاصدين الكوفة، وكانت الدولة الأموية تلفظ آخر أنفاسها، وكان أبو سلمة الخلال[5] هو يومئذ نائب الإمام على العراق، وكان الشيعة شديدي الثقة فيه والاطمئنان إليه حتى لقد كانوا يلقبونه وزير أهل البيت، والذي يراجع روايات الطبري[6] وغيره يلاحظ: أن أبا سلمة هذا لم يكن مستريحاً إلى إسناد الإمامة إلى أبي العباس، ولست أدري على سبيل اليقين ما هي الدوافع والأسباب التي جعلته يقف منه هذا الموقف، ولا يخلو الأمر - فيما أرى - من سببين:

أحدهما: أن أبا سلمة قد كان غير مستريح إلى أن إبراهيم قد أوصى

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٣٥٣.
اليماني: كنز الأخبار: ص ١٢٥.
الإسفراييني: الفرق بين الفرق، ص ٢٥٦.
(٢) الطبري: تاريخ الأمم، والملوك، جـ٧، ص ٢٩٤ - ٢٩٥.
(٣) الطبري: المصدر السابق، جـ٧، ص ٤٧٠ - ٤٧١.
(٤) الطبري: المصدر السابق، جـ٧، ص ٤٢٣.
(٥) الطبري: المصدر السابق، جـ٧، ص ٢٣٤.
(٦) الطبري: المصدر السابق، جـ٧، ص ٤٢٣.

بالإمامة من بعده إلى أخيه لأنه قد قتل كما سبق وأشرنا غيلة ولم يكن معه من خاصته من يأتمنه على الاحتفاظ بهذا السر ونقله إلى أهل بيته في الكوفة.

والسبب الثاني هو: أن أبا سلمة لم يكن مقتنعاً بأن أحداً من البيت العباسي يستحق أن يلي هذا المنصب بعد إبراهيم؛ ولهذا فإنه قد فكر في إخراج الأمر منه وإسناده إلى أحد أعضاء البيت العلوي[1] وهذا السبب - فيما أرى - هو الراجح وذلك لأمرين:

أحدهما: أن أبا سلمة قد كان من الكوفة وأهل هذه المدينة قد أشربوا حب عليٍّ وذريته وتشيعوا له، **والأمرالثاني**: أن أبا سلمة قد كتب بالفعل إلى ثلاثين من أفراد البيت العلوي وهم: جعفر بن محمد الصادق[2] وعمه عمر الأشرف بن زين العابدين، وابن عمه عبدالله بن المحض بن حسن بن علي ابن أبي طالب، ولأن جعفراً وعمر كليهما قد رفضا هذا الكتاب، وتردد عبدالله المحض فيه فإن عزم أبي سلمة في تحويل الخلافة من العباسيين إلى العلويين قد فتر، وإن كان قد ماطل السفاح وضايقه وكتم أمره وأمر أهل بيته حتى اضطر في النهاية إلى مبايعته أمام عناد أبي الجهم ومن أوى إليه[3] من الشيعة وإصرارهم على بقاء الإمامة في بيت العباس والسفاح. وإن كان قد حمل عبء الإمامة بعد أن مهد لها أبوه محمد وأخوه إبراهيم، ولم يأخذ بمقاليدها إلا في العام الثاني والثلاثين بعد المائة[4]. فإنه قد أظهر الكثير من

---

(١) انظر نص الخطاب في: ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية، ص ١٥٤ - ١٥٥.

(٢) ابن طباطبا: المصدرالسابق، ص ١٥٤.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٤٢٣ - ٤٢٤.

(٤) الطبري المصدر السابق، جـ٧، ص ٤٢٩.

الكياسة وحسن السياسة في الفترة الصغيرة التي تولى فيها شؤون الإمامة. فإليه يرجع الفضل في بقاء الشيعة على وحدتهم[1] في الكوفة على الرغم من الفتنة التي كان يريد إشعال نارها أبو سلمة الخلال. وإليه يرجع الفضل كذلك في إدخال ابن هبيرة في السلم[2]. واستيلائه على واسط وهي آخر المعاقل الأموية في العراق.

وكما تولى منصب الإمامة ثلاثة، فقد تولى منصب النيابة في العراق ثلاثة كذلك أولهم أبو رباح ميسرة العبدي[3] وعلى الرغم من أن هذا الرجل قد تولى شؤون منصبه خمسة أعوام، وأنه قد رافق الدعوة منذ بدايتها في العام المكمل للمائة، فإن المؤرخين لا يعرفون عن أخباره غير أنه كان نبالاً وأن محمداً الإمام قد أرسله من أرض الشراة إلى الكوفة في العام المكمل للمائة وأنه قد أرسله إلى خراسان في العام الثاني[4] بعد المائة للدعاء إلى بني العباس، وأن وفاته[5] قد كانت في العام الخامس بعد المائة، وحتى هذه النقطة الأخيرة فإن المؤرخين لم ينصوا عليها نصاً، ولم يفصحوا عنها إفصاحاً، وإنما هي مستنتجة من سير الحوادث وتتابع الظروف. وهذا القدر الذي ألمعنا إليه لا يكفي للحديث عن رجل مثل ميسرة، فما هي العلة التي من أجلها أغفله التاريخ هذا الإغفال؟ ويبدو لي أن إحاطة العباسيين للدعوة

---

(١) الطبري: المصدر السابق، جـ٧، ص ٤٣٠ - ٤٣١.

(٢) الطبري: المصدر السابق، جـ٧، ص ٤٥٠ - ٤٥٧.

(٣) الطبري: المصدر السابق، جـ٦، ص ٥٦٢، جـ٧، ص ٢٦.
المقريزي: منتخب التذكره، ص ٨١.

(٤) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٦، ص ٥٦٢.

(٥) الطبري: المصدرالسابق، جـ٧، ص ٢٦.

والدعاة في هذا الوقت بالسرية التامة والتكتم الشديد قد كان هو السبب الرئيس في قلة ما وعته ذاكرة التاريخ عن هذا الداعية الكبير، وقد شاء الله ألا يموت ميسرة حتى يسهم في التعرف على خلفه، وكشف النقاب عنه وهو أبو هاشم بكير بن ماهان[1]. ويقول المؤرخون: إن هذا الرجل قد كان مترجماً للجنيد بن عبدالرحمن عامل الأمويين على السند، وأنه قد اكتسب في هذه البلاد أموالاً كثيرة، وعاد إلى العراق ومعه خمسة قوالب إحداها من الذهب، والأربعة الأخرى من الفضة، وأن هذه العودة قد كانت في السنة الخامسة بعد المائة. وقد اتصل[2] به ميسرة العبدي، وابن خنيس وغيرهما وما زالوا به حتى أدخلوه في دعوتهم. ويظهر أن إيمان بكير هذا بحق العباسيين في الخلافة قد كان عميقاً، فقد أنفق ماله كله على كثرته في سبيل الدعوة، وكان إذا جاءته صحيفة من الإمام غسلها وعجن بمائها طعاماً لنفسه ولأهل بيته[3]. وقد كان هذا الحب والتفاني في الإخلاص للدعوة هو السبب الذي من أجله عهد الإمام محمد بن علي إلى بكير بالنيابة عنه في العراقَيْن وجعل إليه أمر الدعوة والدعاة في خراسان تماماً كما كان الحال مع ميسرة النبال. وقد حمل الرجل أعباء مركزه في عزم منذ أسند إليه في العام الخامس[4] بعد المائة حتى غادر هذه الدنيا في العام السابع والعشرين بعد

(١) أبو هاشم بكير بن ماهان الحارثي، أحد دعاة بني العباس، قدم البلقاء من أرض الشام.
الدينوري: الأخبار الطوال، ص ٣٣٣ - ٣٣٤.
اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، جـ ٢، ص ٣١٩.
ابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق الكبير، جـ ٣، ص ٢٩١.
ابن طباطبا الفخري: في الآداب السلطانية، ص ١٥٤.

(٢) الدينوري: الأخبار الطوال، ص ٣٣٣.

(٣) الدينوري: المصدرالسابق، ص ٣٣٤.

(٤) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ ٦، ص ٢٥ - ٥٦.
ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ ٢، ص ١٩٢ - ١٩٣.

المائة[1]. فكان يتلقى الكتب من الدعاة ليوصلها إلى الإمام، وليس هذا وذاك وحسب وإنما كان إليه أمر النواب في خراسان، وكان إليه كذلك قبض صدقات الشيعة لتوصيلها إلى الحميمة إلى آخر الأعباء الكثيرة التي ينوء بها أولو العزم من الرجال. وقبل أن يغادر بكيرٌ هذه الحياة أوصى بالأمر من بعده إلى أبي سلمة حفص بن سليمان[2]. ولأن ثقة الإمام به قد كانت عظيمة فإنه قد أقر هذه الوصية وقلد هذا الرجل منصب النيابة في العراق. ويقول: المؤرخون: [3] إن السبب في هذا الاختيار هو المصاهرة التي كانت بين بكير وبين أبي سلمة.

وأيًا ما كان فقد كان أبو سلمة من المياسير، وكان ينفق أمواله في سخاء على الدعوة والدعاة، ولنشاطه وثقة إبراهيم الإمام فيه وحظوته لديه أطلق عليه اسم وزير أهل البيت[4] وهو أول من حمل هذا اللقب من الشيعة، أما وصفه بالخلال[5] فلقرب منزله من المكان الذي كان يقيم فيه الخلالون، أو لأنه كان خلالاً يبيع الخل، أو أن النسبة إنما هي إلى خلل السيوف وهي: القوارب والأغماد، ويظهر أنه قد كان يشارك في صناعتها، أو الاتجار فيها،

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٣٢٩.
ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٢، ص ٢٩١.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٣٢٩.
ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٤، ص ٢٩١.

(٣) ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية، ص ١٥٤.

(٤) ابن طباطبا: المصدر السابق، ص ١٥٣.
ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ٢، ص ١٩٥.

(٥) ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية، ص ١٥٣ - ١٥٤.

وقد بقي أبو سلمة موالياً للبيت العباسي حتى هلك إبراهيم، وبعد ذلك أراد أن يحول الأمر عن هذا البيت إلى البيت العلوي[1]. وقد ذكرت فيما مضى أن هذا التحول إنما كان لسببين: أحدهما: أن أهل الكوفة قد كانوا شيعة لعلي، والثاني: أنه لم يكن مستريحاً إلى أن إبراهيم الإمام قد أوصى إلى أخيه أبي العباس السفاح. وسواء أصح هذا أو لم يصح فإن هذا التحول قد أسخط عليه السفاح[2] وجعله يكتب إلى أبي مسلم يستشيره في قتله، ومن الرواة[3] من يرون أن أبا مسلم هو الذي دبر لاغتياله، وأن أبا العباس قد صفح عنه، وذكر ماضيه في نشر الدعوة والتمكين لها. ويبدو لي أن هذا الخلاف إنما هو خلاف لفظي فإن زياداً أبا محمد هو أول من أرسله الإمام للقيام بأمر الدعوة في خراسان، وإن حرب بن عثمان هو أول من حمل كتابه إلى أهالي هذه البلاد، وأيًا ما كان فإن حياة زياد أبي محمد انتهت بالقتل وذلك في العام التاسع بعد المائة[4] وفي ولاية أسد بن عبدالله القسري على سبيل التحديد.

وقد تولى أمر الدعوة من بعده كثير الداعي[5] وهو رجل من أهل الكوفة، وقد نزل أول ما نزل على أبي النجم وهو أحد النقباء الاثني عشر، ولأنه قد كان أمياً، وكان محدود القدرة على استقطاب الناس والتأثير فيهم، فإن أخذه بأزمة الدعوة لم يستمر إلا عاماً أو عامين، فقد

---

(١) ابن طباطبا: المصدر السابق، ص ١٥٤ - ١٥٥.

(٢) ابن طباطبا: المصدر السابق، ص ١٥٥.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٤٤٨ - ٤٥٠.

(٤) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٥٠.

(٥) الطبري: المصدر السابق، جـ٧، ص ٥١.

أتاه عمار بن يزيد في قرية اسمها مرعم، وغلبه وتولى الأمر دونه.

وعمار بن يزيد[1] هذا هو أحد الشيعة في الكوفة، وقد وجهه بكير بن ماهان، وهو نائب الإمام في العراق للقيام على شؤون الدعوة في خراسان وقد نزل أول ما نزل - مرو - وكان في بداية أمره صادقاً في الدعوة إلى بني العباس، وأميناً على مبادئها وأسرارها، غير أنه ما لبث أن تنكر للدعوة وخان مبادئها ودعا إلى دين الخرمية[2] ورخص لبعض أتباعه في نساء بعض، وأخبرهم أن ذلك عن أمر من محمد بن علي، وحتى اسمه الذي كان معروفاً فإنه قد غيره وأطلق على نفسه (خداش). وقد كانت نهايته على يدي أسد بن عبدالله القسري فإنه لما بلغه ما يدعو إليه وضع الجواسيس عليه وما زال حتى أحضره إليه وسأله عما يقول، وبدلاً من أن ينكر ما يدعيه ويدعو الناس إليه، فإنه أغلظ له وأساء الجواب في حضرته؛ ولأن أسداً قد كان متوجهاً لغزو بلخ، فإنه أمر به فقطعت يده وقلع لسانه وسملت عيناه، ثم قتله وصلبه فور عودته.

جاء في الطبري أن قيامه بشؤون الدعوة ورئاسة الدعاة في خراسان قد كان في السنة الخامسة عشرة بعد المائة، وأن قتله وصلبه قد كان بعد ذلك بثلاث سنين وفي السنة الثامنة عشرة على سبيل التحديد.

وإن كنت أوافق الطبري على العام الذي كانت فيه نهاية هذا الرجل،

= ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٤، ص ٢٠١.

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ١٠٩.
وابن عساكر: تاريخ ابن عساكر، جـ٣، ص ٢٩١.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ١٠٩

فإني لا أستطيع أن أطمئن إلى ما كتبه حول العام الذي كانت فيه بدايته. وذلك لسببين: **أحدهما**: ما قرره هذا المؤرخ نفسه من أن خداش[1] قد غلب كُثَيِّراً على أمره، وقام بالدعوة بدلاً منه، وإذا عرفنا أن كُثَيِّراً هذا قد تولى أمر الدعاة فور مقتل زياد بن محمد الذي كان في السنة التاسعة بعد المائة وأنه قد بقي في منصبه عاماً أو عامين، وتبين لنا أن قيادة خداش للدعوة قد كانت في السنة العاشرة أوفي السنة التي تليها.

والسبب الثاني: وهو أن إرسال بكير بن ماهان خداش إلى خراسان قد كان في السنة التاسعة بعد المائة، كما جاء عند هذا المورخ نفسه، وعلى هذا الأساس فإن خداشاً يكون قد أقام بمرو ما شاء الله، ثم نزل على كثير في قرية تدعى مرعم في نهاية العام التاسع، وكانت المنافسة بينهما حتى غلبه على منصبه في العام العاشر أو في العام الذي يليه. وسواء أصح ما ذهبت إليه من أن خداشاً قد تولى شؤون الدعوة في خراسان قبل العام الذي حدده الطبري بكثير أو لم يصح، وكان الذي ذهب إليه هذا المؤرخ الكبير هو الحق فإن الواجب العلمي يحتم عليَّ أن أقف هنا متأنية لمناقشة ما كتبه يوليوس فلهوزن[2] حول العلاقة بين العباسين وبين عمار بن يزيد أو خداش كما كانوا يسمونه، فقد ادعى هذا المؤرخ الكبير أن العباسيين لم يكونوا يبالون بالدين في سبيل نجاح الدعوة وبلوغ الهدف والغاية، ولو لم يكونوا كذلك لما تركوا خداشاً يدعو إلى الخرمية ويرخص لبعض أنصاره في نساء بعض، بل لكذبوه وعزلوه وحذروا منه أو أحلوا غيره محله، والواقع أن الحق شيء وما

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٥١.

(٢) فلهوزن: تاريخ الدولة العربية، ص ٢٠٠ - ٢٠١.

ادعاه هذا المستشرق شيء آخر. فإن العباسيين قد كانوا أمناء على الدين وكان لهم في نشره والتقيد بمبادئه دور لا سبيل إلى إنكاره، ويكفي أن نذكر هنا إمامة جدهم عبدالله بن عباس في الحديث والتفسير وغيره حتى أطلق عليه حبر الأمة، وهذا الزهد والإغراق في العبادة الذي عرف به جده الثاني علي حتى سمي السجاد. أما ما كان من خداش فقد كان على غير علم من الإمام محمد ودون أمره وتوجيهه، وقد يقال هنا لماذا إذن لم يعزل الإمام خداشاً ويقيم غيره مقامه؟ والجواب: أنه لم يعزله لأنه لم يبلغه ما كان منه، أو لأنه خشي إن هو عزله وأحل غيره محله أن يدور الجدل عنيفاً بينهما، ومن الجائز أن يفضي خداش بما علم من أسرار الدعوة وقيادتها فيفتضح أمرها، وينكشف سرها، وحين إذ يجهز الأمويون عليها وعلى قادتها.

والدليل على أن الإمام محمداً لم يكن راضياً عما فعله خداش ما رواه الطبري[1] وغيره من غضبه على أنصاره في خراسان وحجبه رسائله عنهم ثم إرساله رسوله إليهم بعصيان مضببة ليعلموا أنهم قد عصوا وأنهم جديرون باللوم والعقوبة. وتبقى نقطة أخيرة وهي ما ذكره الطبري[2] من أن عمار بن يزيد هو الذي سمى نفسه خداشاً. وعندي أن الأمر ليس كذلك وإنما الناس هم الذين أطلقوا عليه هذا الاسم لخدشه للدين وانحرافه عن مبادئ الدعوة العباسية وأهدافها.

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ١٤١ - ١٤٢.
ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٤، ص ٢٣٥.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ١٠٩.

وحاصل ما ذكرناه في هذه الحلقة من الحلقات السرية الثلاث هو: أن نواب الإمام في خراسان قد كانوا ثلاثة وهم: أبو زياد محمد، وكثير الداعي، وعمار بن يزيد وثم نائب رابع وهو أبو مسلم الخراساني، غير أني رأيت أن أرجئه إلى حين حتى أنتهي من الحديث عن الحلقة الرابعة والأخيرة وذلك لسببين: **أحدهما**: طول الكلام عنه، **والثاني**: أنه هو الذي أخذ بأزمة الدعوة في خراسان حتى بلغت الغاية وأدركت الهدف وسقطت الدولة الأموية تحت سنابك خيول بني العباس.

وإذن فقد آن الأوان للحديث حول الحلقة الرابعة وهي: حلقة النقباء وهم: اثنا عشر، ثمانية من العرب، وأربعة من الموالي، وقد اختلفت بعض أسمائهم في رواية الطبري في العام المكمل للثلاثين[1] عنها في روايته في العام المكمل للمائة[2]. غير أن هذا الاختلاف فيما أرى لا ثمرة له لأنه لا يعدو وضع اسم مكان آخر، أما الأشخاص فهي واحدة في كلتا الروايتين. والنقباء العرب الثمانية هم: موسى بن كعب التميمي[3] والقاسم بن مجاشع بن تميم[4] ولاهز بن قريط التميمي[5]

(١) الطبري: المصدر السابق، جـ٧، ص ٣٧٩ - ٣٨٠.

(٢) الطبري: المصدر السابق، جـ٧، ص ٥٦٢.

(٣) موسى بن كعب بن عيينة بن غادية بن عمرو بن سرى بن كعب بن غادية بن زيد بن الحارث بن امرئ القيس بن زيد مناه.
ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٢١٤.

(٤) القاسم بن مجاشع بن تميم بن حبيب بن عبيد بن عامر بن مالك بن عرعره بن امرئ القيس.
ابن حزم: المصدر السابق، ص ٢١٤.

(٥) لاهز بن قريظ بن سرى بن الكاهن بن زيد بن عصبه بن امرئ القيس.
ابن حزم: المصدر السابق، ص ٢١٤.

وخالد بن إبراهيم[1] وقحطبة (زياد بن شبيب)[2] ومالك بن الهيثم[3] وطلحة بن زريق[4] وسليمان بن كثير[5].

والذي يمعن النظر في هؤلاء يلاحظ أن النقباء الأربعة الأول قد كانوا من مصر، وأن الآخرين قد كانوا من اليمن.

ويبقى النقباء الأربعة الآخرون، وهؤلاء قد كانوا من الموالي وهم: عمران بن إسماعيل أبو النجم[6] شبل بن طهمان[7] عمرو بن أعين[8] وعيسى بن أعين[9].

---

(١) أبو داود خالد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن مقبل بن الحارث، وهو من بني عمرو بن شيبان بن ذهب بن ثعلبة.
ابن حزم: المصدر السابق، ص ٣١٩.

(٢) قحطبة بن زياد بن شبيب الطائي.
الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٣٧٩.

(٣) أبو نصر مالك بن الهيثم الخزاعي.
اليعقوبي: تايرخ اليعقوبي، ص جـ٢، ص ٣٤٣.

(٤) أبو منصور طلحة بن زريق بن أسعد الخزاعي.
الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ١٠٧.

(٥) سليمان بن كثير الخزاعي، شيخ نقباء بني العباس.
الطبري: المصدر السابق، جـ٧، ص ١٠٧.

(٦) عمران بن اسماعيل أبو النجم الطائي، مولى لآل أبي معيط.
الطبري: المصدر السابق، جـ٦، ص ٥٦٢.

(٧) أبو علي شبل بن طهمان الهروي، مولى لبني حنيفة.
ان الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٤، ص ١٥٩ - ٢١٠.

(٨) أبو حمزة عمرو بن أعين مولى خزاعة.
الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٦، ص ٥٦٢.

(٩) أبو الحكم عيسى بن أعين مولى خزاعة.
الطبري: المصدر الصابق، ص جـ٦، ص ٥٦٢.

ويبقى الدعاة الذين جعل عليهم هؤلاء النقباء، وقد أجهدت نفسي في سبيل التوصل إليهم والتعرف عليهم، غير أنني لم أجد لهم ذكراً في المصادر التي بين يديَّ، ويبدو أن المؤرخين لم يسجلوا أسماءهم وذلك لسببين **أحدهما**: أن العباسيين قد أسدلوا عليهم ستاراً كثيفاً من السرية والخفاء حتى لا يفتضح أمرهم ولا تنكشف أخبارهم. **والسبب الثاني**: أن هؤلاء الدعاة قد كانوا يؤثرون العمل في تكتم وكراهية منهم للشهرة، وإيثاراً للمثوبة من الله تعالى من أجل الانتصار لأهل بيت النبي - عليه الصلاة والسلام - وإعادة ما سلب من حقوقهم إليهم.

ونظرة فاحصة إلى هذا الجهاز السري وحلقاته الأربع تؤكد لنا مهارة العباسيين في التخطيط لدعوتهم وبراعتهم التي لا نظير لها في رسم الطريق إلى تحقيق أهدافهم وغايتهم. ومن المؤرخين[1] من يستكثر هذه الخبرة عليهم، ويرى أن هذا التخطيط العبقري لم يكن وليد الفكر العباسي، وإنما اليهود هم أصحابه أو أنه قد تم بمساعدة منهم على الأقل، ويستدلون على ذلك بهذا التنظيم الذي كان من موسى - عليه الصلاة والسلام - لبني إسرائيل فقد اختار من قومه سبعين وجعل عليهم اثني عشر نقيباً.

والحق أن ما يدعيه هؤلاء المؤرخون شيء وأن الصواب شيء آخر، فإن المصادر التي بين يدي لم تشر لا من قريب ولا من بعيد إلى أن اليهود قد كان لهم مكان في هذه الدعوة وما كان من تنظيم موسى (عليه الصلاة والسلام)

---

(١) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص٢٩٧.

لبني إسرائيل فإن العباسيين قد عرفوه من القرآن الكريم، وعرفوه من السنة النبوية المطهرة كذلك. وعلى سبيل التحديد من بيعة العقبة الكبرى[1] فقد كان عدد الأنصارفيها سبعين أو اثنين وسبعين، وقد جعل النبي - ﷺ - عليهم اثني عشر نقيباً ثمانية من الخزرج، وأربعة من الأوس.

وبعد فقد أمطت النقاب في هذا الفصل عن استشراف العباسيين للخلافة، ثم كشفتُ النقاب عن مراكز الدعوة، وسلطت الأضواء على جهازها السري، وانتهيت إلى أن هذه المراكز أربعة وهي: الحميمة، والكوفة، والحجاز، وخراسان.

وأن الجهاز السري قد كان يتألف هو الآخر من حلقات أربع وهي الإمام ونوابه في العراق، ونوابه في خراسان، والدعاة، والنقباء. وإن التعاون قد كان وثيقاً بين هذه المراكز وبين الجهاز السري، وأنه قد كان وثيقاً كذلك بين الحلقات الأربع في هذا الجهاز، وأن هذا التعاون وهذه السرية قد كانت أحد الأسباب التي كتبت لهذه الدعوة النجاح في نهاية الأمر.

---

(١) اليعقوبي: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٢٩٧.